Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 7, 2026, 9847

Deanship of Scientific Research

Cultural Sustainability in Wasini Al-Araj *2084: Tale of the Last Arab*

***Abdulhameed Saif Alhosami*[1]*, ***Sabha Ahmad Alkam*[2]

[1]Department of Arabic Language and Literature, King Khalid University, Saudi Arabia.

[2]Department of Arabic Language and Literature, Al-Zaytoonah University of Jordan, Jordan.

Received: 25/11/2024
Revised: 13/1/2024
Accepted: 3/2/2025
Published online: 1/2/2026

* *Corresponding author:*
ahusami@kku.edu.sa

Citation: Alhosami, A. S., & Alkam, S. A. (2026). Cultural Sustainability in Wasini Al-Araj 2084: Tale of the Last Arab. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(7), 9847.
https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9847

Abstract

Objectives: This research explores the potential of science fiction novels to enhance awareness of cultural sustainability and contribute to sustainable development.

Methods: The study employs thematic and socio-narrative analytical methods to examine the novel, focusing on its role in promoting cultural sustainability.

Results: The analysis reveals that the novel incorporates various themes that support cultural sustainability, including identity, terrorism, peace, human rights, technology, environmental changes, and poverty.

Conclusions: Based on the findings, the study emphasizes the importance of integrating themes that foster cultural sustainability in creative disciplines, contributing to comprehensive development and a stable future for humanity.

Keywords: Cultural sustainability, science fiction, *The Tale of the Last Arab*.

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الاستدامة الثقافية في رواية حكاية العربي الأخير" واسيني الأعرج "

***عبدالحميد سيف الحسامي*[1]* ، ***صبحة أحمد علقم*[2]

[1] قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك خالد، السعودية.

[2] قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن.

ملخّص

أهداف الدراسة: سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى إمكانية توظيف روايات الخيال العلمي في تعزيز الوعي بالاستدامة الثقافية، والإسهام في عملية التنمية المستدامة.

منهجية الدراسة: اعتمدت الدراسة على معطيات المنهجين: الموضوعاتي، والسوسيونصي في دراسة الرواية، وبيان جوانب الاستدامة الثقافية التي تتضمنها.

النتائج: خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها، أن الرواية قدمت في سياق بنائها الروائي عددًا من الموضوعات التي تفضي إلى تحقيق استدامة ثقافية، وأهمها: الهوية، والإرهاب، والسلام، وحقوق الإنسان، والتقنية، والتحولات البيئية، والفقر.

الخلاصة: في ضوء النتائج قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات أهمها:

ضرورة الالتفات إلى المواضيع التي تساعد في تحقيق الاستدامة الثقافية في حقول الابداع لتعزيز التنمية والحياة المستقرة للإنسان في المستقبل بنواحيها كافة.

الكلمات الدالة: الاستدامة الثقافية، حكاية العربي الأخير، الخيال العلمي.

المقدمة

كان لظهور التقنية أَثَرٌ فَعّالٌ في تفتق الخيال الذي ما فتئ يستلهم كل معطياتها تارة، ويبني عوالمَ فائقةَ الخيالِ تحاكيها، أو تستشرف عوالم تقنية غير معهودة؛ لتخصيب المنجز الأدبي، شعرًا أكان أم سردًا، تارة أخرى؛ فلم تلبث التقنية أن حفزت الأدباء إلى ارتياد مناطق تشتبك فيها التقنية بالخيال، والحاضر بالمستقبل، والواقعيُّ المألوفُ بالممكن المتخيل، المغرق في التخييل، النائي عن المألوف (قطامي،2022، ص224-228). فبرزت إلى المشهد العالمي أعمالٌ أدبيةٌ، شعريةٌ وسرديةٌ تنهض على المزج بين معطيات التقنية، ومنتجات الخيال، وهو ما يسمى بـ(أدب الخيال العلمي). الذي غدا **إبدالًا سرديًا**، أو -بحسب محمد العبد- (**استراتيجية سردية**) تترجم تحولات التجربة الروائية في عصر ما بعد الحداثة، لا يدل فحسب على جنس أدبي رائج؛ بل هو أيضًا نمط منتشر انتشارًا متزايدًا للوصف والتحليل الثقافيين، ومظهرًا من مظاهر الوعي اليومي بحياة الناس في عالم ما بعد الحداثة (العبد، 2007، ص29) (قطامي وحمدان،2024، ص282-297).

ولم تكن الرواية العربية بمنأى عن التفاعل مع الرواية العالمية، في تجسيد هذا المنزع، والوثوب بالمنجز الروائي إلى المستقبل، والتعبير عن هموم المجتمع العربي، فطالما ارتبط المبدع العربي بواقعه، وحاول الإسهام من موقعه في تقديم رؤيته الثقافية الحضارية من خلال نوافذ الإبداع الروائي المستقبلي، في سياق تأمل اغتراب المستقبل عن واقعه، وتأويل للتاريخ ، وبحث في تأريخ الهوية العربية المأزومة؛ فالرواية العربية التي تعد اليوم (ديوان العرب) تنظر **لوجودها الذاتي** في خصوصيتها تارة في تأمل خصوصياتها التعبيرية والجمالية، وتارة أخرى تتأمل وجودها الموضوعي المتمثل في قراءة المجتمع، وتشخيص عوالمه وقضاياه (أبو كشك وفرمان، 2022، ص30) (يقطين،2010، ص12-13).

وإذا كان بعض الروائيين العرب قد واجهوا استبداد الزمن الراهن بأزمنة سابقة عليه، تفسره، وتؤوله، وترفضه (دراج، 2010، ص302). فإن التجريب الروائي قد وضع عددًا من الروائيين العرب في مواجهة الواقع الراهن بأزمنة لاحقة له، تجسد موقفهم منه، ورؤيتهم لمآلاته، ومن أولئك واسيني الأعرج في روايته (2084حكاية العربي الأخير). فهي من الروايات التي" تحاول أن تكتب ذاكرة للمستقبل، وتستبق الحاضر، لترسم صورة مغايرة لما سيكون عليه وضع الإنسان، والعالم، والعلائق... (برادة، 2008، ص6). كما شكلت الرواية نموذجًا فارقًا لرواية الخيال العلمي، إذ تمكنت من توظيف المنجز التقني في نسج المتخيل الروائي في عمق المستقبل، حيث تشهد البشرية أفول (العربي الأخير) الذي تعمد الرواية إلى تقديم متخيل له في اشتباكه مع واقع عربيٍ/ عالميٍ في ظل ظروف مختلة، وعوامل ثقافية تكشف أزمة الأمة العربية وهي تعالج تحديات داخلية، وخارجية من شأنها أن تفضي في النهاية إلى انقراض (الجنس العربي).

مشكلة الدراسة، وأسئلتها:

لقد ناقشت حكاية العربي الأخير، قضايا ثقافية تنموية غايةً في الأهمية، بوعي رؤيوي جلي يتوارى خلف حبكة العناصر السردية، تارة، وقد تفصح عنه - تارة أخرى - بعض النوايا المعلنة للكاتب، من ذلك العتبة أسفل الغلاف الخلفي التي تقول:" يتنازل الكاتب عن حقوقه المادية للأطفال المرضى بالسرطان." وينظر كذلك عتبته التصديرية التي وضعها بنبر بصري مختلف: أتمنى أن لا يحدث هذا. مجرد صرخة قبل فوات الأوان. أعرف سلفًا أن المعنيَّ بها تحديدًا لن يسمعها أبدًا" (الأعرج، 2016، ص10). وأبرز تلك القضايا: الهوية، والإرهاب، والسلام العالمي، وحقوق الإنسان، والتقنية، والتحولات البيئية، ومشكلة الفقر، مما يجعلنا نقف أمام رواية يمكن أن توصف بكونها"(رواية أفكار) تنقد السلب المعيش، وتعطيه أبعادًا مستقبلية كارثية...من منظور سياسي، يستولد الأمل من أنقاض عابقة بالخراب..." (دراج،2010، ص287) رواية تشتغل على (**سردية النهاية**) كاشفةً عن مقدماتها المعقدة، وتفاصيلها المثيرة .

لذلك كله فإن هذه الرواية - التي تمثل مرحلة النضج الروائي الديستوبي عربيًا- جديرةٌ بالدراسة من منظور **سؤال التنمية المستدامة** (الحسامي، 2013، ص307)، إذ تعد (**مَعْلَمًا**) من معالم المنجز الروائي العربي، يجمع بين البناء الفني الرفيع، والنظرة الثقافية المكتنزة بسؤال الاستدامة الثقافية، ولا شك في أن مقاربة من هذا النوع تعد "دعوة إلى نقد قادر على استثمار التوجهات النقدية الجديدة، وإدراجها في سياق تحليلي يكشف مكمن القوة في بنية النص، وتفاعل عناصره النامية، دون أن ينسى ارتباط هذا النص بروافده الفردية، والجماعية (العلاق، 2023، ص37). وبذلك فإن الدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف يمكن أن تسهم روايات الخيال العلمي في تحقيق الاستدامة الثقافية؟
- ما مجالات التنمية المستدامة التي تناولتها رواية (العربي الأخير) لواسيني الأعرج.
- كيف تمَثَّلَ وعي الاستدامة الثقافية من خلال العناصر الروائية، وبخاصة شخصيات الرواية وأحداثها؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن مدى ما تحققه رواية الخيال العلمي في تحقيق الاستدامة الثقافية، وتعزيز الوعي بها، من خلال بناء متخيلها الروائي.

أهمية الدراسة:

لقد قدمت هذه الرواية- بمنطق الفن- ما يمكن أن نعده تشخيصًا للمسألة الحضارية/ الثقافية، ومعالجة اعتلالات الأمة العربية، واختلالاتها، من منظور (ديستوبي) محض، وإذا كانت رواية (اليوتوبيا) تقدم الرؤية التفاؤلية في قراءة الواقع، وتقفز على الشروط الموضوعية للمجتمع، فتبشر بمآلات حالمة تتحقق فيها سعادة البشرية، فإن رواية الديستوبيا تقف على الطرف النقيض حيث تشكل صوت النذير، لكن النمطين (اليوتوبي/ البشير) و(الديستوبي/ النذير) كلهما يسعى لتحقيق هدف واحد، يتمثل في نشدان التنمية، على المستويات كافة، إنهما وجهان لعملة واحدة، وبذلك فإننا يمكن أن نعدَّ رواية الخيال العلمي- بما تتنبأ به من خير، أو تحذر منه من شر- منجزًا فاعلًا يحمل هاجس السؤال المؤرق (للمثقف العضوي)، وهو سؤال التنمية المستدامة.

الأهمية التطبيقية للدراسة:

للدراسة أهمية كبيرة على المستوى التطبيقي؛ فالأمم تسعى لتحقيق الاستدامة، من خلال الاقتصاد، أو من خلال الاقتصاد الناعم المتمثل بالثقافة، والأدب رافد من روافدها، فالفنون قد تمنحنا أدوات للمواجهة.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية:

1- **مفهوم الاستدامة الثقافية: الاستدامة في التنمية الثقافية** على أنها" القدرة على التعامل مع الحقل الثقافي، (بكل ما فيه من إنتاج للمعارف، ونقلها، وتداولها، ومن صناعات ثقافية في مختلف مجالات الحياة المعاصرة والتراثية، ومن فنون سمعية، وبصرية، وتخيلية)، في الحاضر والمستقبل، بحيث يسهم بشكل فعال مع حقول المجتمع الأخرى، في بناء المعرفة، والفهم، والوعي للأجيال الحالية، وأجيال المستقبل.." (زيد، 2019، ص27).

2- **أدب الخيال العلمي، ويعرف بأنه:** ذلك الأدب الذي يتعامل جزئيًا، أو كليًا مع موضوعات الغرائب، والخوارق (فتحي،1986، ص48)، أو هو ذلك الأدب الروائي الذي يُعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنلوجيا، وتدور أحداثه غالبًا في المستقبل، أو على كواكب أخرى..." (وهبة والمهندس، 1979، ص105) فيجمع بين عنصرين لطالما كان يعتقد أنهما ضدان لا يلتقيان، وهما الأدب، والعلم؛ الأدب بخياله المجنح، والعلم بصرامته، ودقته (بومعزة ولحمر، 2022، ص 379).

منهجية الدراسة:

ستحاول الدراسة أن تفيد من المنهج الموضوعاتي، الذي يلاحق موضوعات الأثر الأدبي، وتفرعاتها الموضوعاتية... لإدراك العالم التخيلي للأديب في اتصاله بوعيه الذاتي. دون إغفال المنهج (السوسيو نصي) الذي يحاول أن يستنبط البنيات الاجتماعية الثقافية الدالة من خلال عناصر السرد الروائي، فيحلل، ويؤول، ويبحث عن المدلول من خلال تشريح العلائق الداخلية، والخارجية (وغليسي، 2017، ص18).

حدود الدراسة ومحاورها:

تسعى الدراسة لمعالجة قضية الاستدامة الثقافية في الرواية من خلال سبعة محاور، هي:

1- سؤال الهوية.
2- إشكالية الإرهاب.
3- حلم السلام.
4- حقوق الإنسان.
5- التقنية وشروط إنتاج المعرفة.
6- التحولات البيئية.
7- مشكلة الفقر.

الدراسات السابقة:

ومما ينبغي لنا أن نشير إليه أن هناك عددًا من الدراسات التي تناولت رواية (حكاية العربي الأخير) من زوايا مختلفة، سواء أكانت دراساتٍ مستقلةً، أو دراساتٍ عامةً لظواهر كانت الرواية جزءًا منها، **ولعل من أبرزها:**

- استحضار المادة التاريخية في رواية (أيام شداد) لمحمد مفلاح، ورواية(2084 حكاية العربي الأخير) لواسيني الأعرج -بين وعي الواقع وحدود المتخيّل-، بن عتو حورية، بن يعقوب زهرة، مجلة مهد اللغات، جامعة الشلف، مج5، ع2، 2023م.
- الاستشراف بين الرواية العربية والغربية المعاصرة، دراسة مقارنة بين رواية (1984) لجورج أورويل، ورواية (العربي الأخير 2084) لواسيني الأعرج، محمد بوزياني، وحميد بوحبيب، مجلة أوراق – المجلة الدولية للدراسات الأدبية، والإنسانية-، جامعة باتنة، مج5، ع2، سبتمبر 2023م.
- أنماط التحفيز في رواية العربي الأخير، للروائي ياسين الأعرج، سارة حفاف، محمد مليياني، مجلة المدونة، جامعة البليدة،ع2، جوان، 2021م.

ولا بد من التأكيد أن هذه الدراسات وغيرها من الدراسات التي تناولت حكاية العربي الأخير، إلا أنها كانت في جلها تكشف عن الحقيقي والمتخيل في هذه الرواية، ولكن هذه الدراسة تعد جديدة في بابها، حيث لم تسبقها دراسة لهذه الرواية من هذه الزاوية، بل لم أجد - في حدود اطلاعي، وبحثي في محركات البحث المختلفة- دراسةً تقرأ الخطاب الروائيَّ، أو الإبداعيَّ عمومًا- من هذه الزاوية، وهذا يمنح الدراسة أهميةً، وسبقًا، ويمكن أن يؤسس لدراسات لاحقة للأدب والفن بمختلِف تجلياتهما، فيتعزز موقع الأدب والفن في علاقتهما بالتنمية، وخدمة مستقبل الإنسان.

الاستدامة الثقافية في رواية (2084 حكاية العربي الأخير)

يتجلى سؤال الاستدامة الثقافية في هذه الرواية من خلال عددٍ من المحاور، يمكننا تفصيلها فيما يأتي:

أولًا- سؤال الهوية:

لا يمكن بناء استدامة ثقافية لها طابع الديمومة دون أن يكون هناك بناء سليم للهوية، تتجذر فيه الخصوصية الثقافية للذات، وتستبين فيه طبيعة العلاقة مع الآخر، وهي علاقة ما ينبغي لها أن تتأسس بعيدًا عن خصوصية الذات، وإدراكٍ حصيفٍ بتفاصيل هذه الخصوصية، إن "**الهوية في معناها المجرَّد هي جملة علامات، وخصائص من أجناس مختلفة، تستقلُّ بها الذات عن الآخر**، فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر. (الودغيري، 2000، ص76). ونحن ندرك أن سؤال الهوية ليس سؤالًا مباشرًا لهذه الرواية، لكن الرواية في مجملها، وفي ثنايا حركة الخطاب الروائي، وتفاعل عناصره المختلفة، مسكونةٌ بسؤال الهوية، وتبعث على التفكير بها بشكل مباشر، وغير مباشر؛ ذلك "لأن إنتاج الثقافة -عمومًا-إنتاج اجتماعي، مثله مثل كل إنتاج آخر، فلا هو يتميز بسمو خاص، ولا هو نشاط محلق في السماوات العليا، وعالم الحقائق السرمدية، فهو يدخل في شبكة واسعة لإنتاج، وتداول، واستهلاك الأفكار يمكن أن نسميها (سوق المعنى)" (يونس، 1999م، ص7).

ويتجلى سؤال الهوية من خلال عموم الرواية؛ فهي تناقش بأحداثها، وبشخوصها، وبأمكنتها، وبأزمنتها، سؤال الهوية، هوية أمة عربية - **بحسب المتخيل الروائي**- من خلال المحاور الآتية:

أ- الهوية والصراع بين الذات والآخر:

تضفر الرواية نسيج متخيلها الروائي في أفق الصراع بين الذات (العربي)(آرابيا) والآخر الغربي (الأميروبي) الذي ينظر للعربي بوصفه كائنًا لا يصبح جيدًا إلا بموته، فالسير جون -معاون (ليتل بروز) البطل المهيمن على القلعة- يخاطب ليتل بروز قائلًا: "أنت تعرف موقفي جيدًا، وحتى شعاري الذي أخذته من غيري؛ لأنه يعبر عن شيء حقيقي: **العربي لا يصبح جيدًا إلا بموته.** كائن غريب متعلق حتى الموت بفضلات التاريخ، ولا أعرف ماذا يجني من وراء ذلك. هو يقتل نفسه بنفسه، يحشرها في الموت" (الأعرج، 2016، ص22).

فالنظرة التي تملأ عين الآخر هي نظرة الازدراء للعربي، وهي **بنية مهيمنة** في الرواية؛ فعتبة الرواية التي تمثل التصدير الأول وردت وفق نبر بصري خاص إذ كتبت بخط عريض مضبوطةَ الشَّكل:

العَرَبِيُّ الجَيِّدُ الوَحِيدُ، هُوَ العربيُّ المَيِّتُ

وكتبت الإحالة الخاصة بهذه الجملة الثقافية العميقة المجسدة لعلاقة الذات العربي بالآخر الغربية لشرح سياقها التداولي الخاص بها، والحافِّ بإطلاقها، كما يأتي:" هذا التصريح هو جزء من رسالة بعث بها الدبلوماسي الأمريكي باتريك، سرينغ إلى المعهد العربي الأمريكي، نشرت في الشرق الأوسط نقلًا عن الواشنطن بوست، اضطر بعدها إلى الاستقالة من منصبه، أخذها عنه لاحقًا جوش بوزينستن أحد المتطرفين اليهود: **أعزائي اليهود، اقتلوا العرب الآن: العربي الجيد الوحيد، هو العربي الميت."** وهذه الجملة هي الشعار المهيمن على باب القلعة (الأعرج، 2016، ص138-139).

إن استغراق الرواية في تبيين العلاقة بين الذات والآخر يأتي في سياق البحث عن جوهر التنمية المستدامة التي لا يمكن أن تتحقق لأمة دون وعي حاد بذاتها، وبجوهر الآخر، وموقفه منها في آن. إن الرواية إذ تستعرض موقف الآخر من العرب، ورؤيته الانتقاصية لهم، فإنها تدعو بشكل غير مباشر للتشبث بالهوية؛ فـ"عندما تتوطد الهوية في مجتمع، فإنها تنتقل من جيل لآخر، بالمحافظة على مقوماتها، والتمسك بثوابتها القومية والتاريخية كاللغة، والدين وغيرها من المكونات، وعندما تفقد المجتمعات أي عنصر من هذه العناصر يقال: إنها ضيعت هويتها، فالهوية لا ترتبط بالماضي فحسب؛ بل هي النظر إلى الحاضر، والتطلع إلى المستقبل، كما أنها ليست مُعطىً جامدًا، وإنما يُبنى ويُؤسس بالحفاظ على الثوابت المميزة للهوية في ظل التفكير المتجدد" (مرشد، 2023)، وحينها تكون الهوية عاملًا فاعلًا من عوامل التنمية المستدامة، فكل فعل تنموي لا ينبثق إلا ضمن منظومة كلية تتكامل فيها الجوانب

التصورية للأمة، بالجوانب الإجرائية في مجالات الحياة المختلفة المتمثلة بالبنى التحتية، والمشاريع الثقافية، والتنموية المختلفة، كما أن التنمية لا تتحقق إلا من خلال إيجابية العلاقة: علاقة الأمة بذاتها من ناحية، وبالآخر من ناحية أخرى، ولكن حين تتمزق هوية الأمة، وحين تتعرض هذه الهوية للتدمير، والضياع فذلك يشكل إعاقة لأي محاولة تنموية؛ ولذلك فإن الرواية تتفطن لمسألة الهوية، وعلاقتها بتمزق الكيان العربي، حيث مثلت نظرة الغربي -المتمثل بـ(ليتل بروز)- للإنسان العربي دالًا صريحًا، يفصح عن تلك الرؤية التي بنيت عليها مشاريعه، وحركته في المتخيل الروائي؛ فـ(ليتل بروز) هو حفيد (بيج براذر) بطل رواية 1984 لجورج أورويل، وهو علامة جلية على الديكتاتور المستبد المتحكم في كل شيء الذي يبتغي تطويع كل مفردات العالم لسلطته المطلقة، "من ليس معنا فهو ليس ضدنا فقط، بل عدو تجب محاربته، يجب أن يمحى؛ لأنه خطر على مسيرة الإنسانية الجديدة التي نبنيها اليوم بكل ما لدينا من نار وعقل (الأعرج، 2016، ص 95).

إن الآخر الغربي- من خلال منطوق الشخصية الروائية- يسعى لإلغاء العربي، وفق هذه المقولة النسقية الخطيرة وهو في ذلك يشل حركته في التاريخ (الحسامي،2023، ص267-307). إذ يرى أن العرب أمة لا تصبح مفيدة إلا حين تتحول إلى رماد، كما أنه يؤمن بأحقية المنح، والمنع، فهو من يمنحها فرصة الخروج من رمادها، والدخول في تاريخ ظلت على حوافه، هو من يمنحها فرصة الاستمرار على الأرض بشرط تحقيق التبعية المطلقة.

إن إرادة المحو والتدمير، وإعادة العربي إلى بدائيته، تتجلى عبر خطاب الشخصية، وهو خطاب يؤطر سؤال الهوية، وعلاقة (أميروبا) بـ(آرابيا) والأبعد من ذلك أن الخطاب الروائي- وعلى لسان ليتل بروز نفسه- يكشف في ختام الرواية -حيث مشهد تلاشي آرابيا- عن ضرورة العودة إلى الصفاء العرقي، ممتدحًا صنيع هتلر، أو "بيغ براذر الوحيد الذي عرف كيف يحافظ على نقاء الجنس، أو العرق" (الأعرج، 2016، ص430- 431).

ب- آدم غريب والهوية المتشظية:

إن آدم غريب، أو (العربي الأخير) (The Last Arabic) الشخصية الرئيسة في الرواية، هو سليل أسرة منحدرة من عائلة أندلسية، ومن أبٍ فلاحٍ كان يعمل في مخبز (الأعرج، 2016، ص399) هو عربي، ينتمي - كما يقول المارشال ليتل بروز في حواره مع الطبيب المعالج لآدم حين جيء به إلى القلعة- " لذاكرة شقية، ...مع أنه العينة الآرابية الأكثر ذكاءً التي كبرت بين حيطان جامعاتنا، البقية اليوم يتقاتلون على الماء والكلأ، وبقايا النخيل المحروق، لسببٍ تافهٍ يسحبون السيوف، والسكاكين بعضهم على بعض، ويحرقون الدبابات المتبقية من الزمن الماضي من حروبهم، ويمحون آثارهم، منتصرين كانوا أو منهزمين، آدم المسكين لا يعرف أن عصرًا انتهى، وحل زمن آخر..." (الأعرج، 2016، ص21). بل يرى أن آدم كان عليه الانتساب للجرذان بدل الانتساب لذئب قاتل وشرس، وهارب باستمرار..." (الأعرج، 2016، ص21).

إن آدم شخصية تمارس التفكير المعرفي، وهو عالم كبير، ورجل كان له مخبر كبير في بنسلفانيا، (الأعرج، 2016، ص23). وهنا يبدأ المتخيل الروائي في تحبيك هوية آدم، وازدواج تكوينه. إن آدم قبل اختطافه كان في جامعة أمريكية، لكنه اختطف بظروف غامضة، وكان ضحية صراع مئة سنة بين (أزاريا) و(أرابيا) جعله الطريدة النموذجية، (الأعرج، 2016، ص23)، وجيء به إلى القلعة، في صحراء الربع الخالي، ليعيش بلباسٍ برتقالي، يتساءل عن وضعه الغريب، والشاذ، قيل له: إن ما حدث كان فقط تحييدًا لمجموعة كانت تريد أن تضع قنبلة في القلعة قام بها بعض المنشقين من اتحاد القبائل العربية أوتا (UTA) التي تربطها معاهدة سلام بقلعة أميروبا (الأعرج، 2016، ص19- 20).

تتشظى هوية آدم بين انتمائه لقبائل عربية، يجمعها اتحادٌ هزيل، بعد مرحلة تلاشي الدول العربية، وانتمائه لأمريكا بحكم إقامته فيها، وعمله في أحد مراكزها، باحثًا نوويًا، ولكن المتخيل الروائي يكثف تفاصيل هذا التشظي وهو يعيش حالة مرتبكة بين كونه باحثًا يحمل الجنسية الأمريكية، ومعتقلا يلبس اللباس البرتقالي الذي يذكره بمعتقلي (غوانتنامو) (الأعرج، 2016، ص53و106). "أنا عالم نووي أمريكي من أرابيا، التي لم تعد موجودةً إلا كَتِيْهٍ رمليٍ، ولي قيمتي، وإنسانيتي" (الأعرج، 2016، ص23).

وعلى الرغم من كونه عالمًا، وليس إرهابيًا فإن السلطات التي أحضرته للقلعة تتعامل معه بمنطق معين (الأعرج، 2016، ص53)، وحين يؤكد آدم أن الذين جاؤوا به إلى القلعة يفترض أن يعرفوا عنه كل شيء، يجيبه ليتل بروز:

- " لا شيء عندنا للأسف، لا نعرف مهنتك، ولا عملك، ولا أين أنت ذاهب بعد هذا العبور، ما الذي يثبت لنا أنك لست جاسوسًا يشتغل لمصلحة التنظيم؟
- فيتساءل آدم:
- هل أنا سجين لديكم؟ فيجيبه ليتل بروز:
- نحن لا يوجد لدينا سجناء، لكن يوجد لدينا، في مقصورات القلعة، مقيمون، أو غيست، أنت في الوقت الحالي بين المقيم و(الغيست) إلى أن يتضح وضعك الذي لا نعرف عنه الشيء الكثير" (الأعرج، 2016، ص107).

وهكذا يظل آدم (العربي الأخير) في ظل رقابة القلعة التي تكشف حتى خبايا الضمير، وتعرف كل ما يقوله آدم في زنزانته، أو ما يجول في تفكيره:

" لا شيء يغيب عنا. حتى الأنفاس نعرفها، وندقق في طبيعتها، أنفاس الحب، الخوف، الدهشة، نسجلها. نسهر على كل شيء، ونفكر لك..." (الأعرج، 2016، ص109).

هكذا ظل آدم في عزلته، في إحدى زنازن القلعة، التي لا تهيؤ له من الظروف إلا ما يمنحه إمكانية البقاء في صناعة (قنبلة الجيب) التي كانت في الأخير سببًا في الانفجار الكبير الذي أنهى ما تبقى من حياة أرابيا، وفي الأخير كان مصيره على يد مجموعة مسلحة؛ حيث انتهت الرواية وهو بين الحياة، والموت. "وهذا يعني أن استلاب القلعة وابتزازها يعد بمثابة المحو الكلي لأنفة الذات المتعالية، وهو ما عبرت عنه سرديات آدم الهدامة في ارتمائها بالآخر الملتبس..." (فيدوح، 2019، ص124). هذا الالتباس في الهوية، أو تشظي الهوية كان سببًا في انهيار عالم آرابيا، وبمنجزات أحد أبنائها (آدم) الذي ألقاه المتخيل الروائي في أتون أزمة هوية، تجسد الأزمة الحقيقية للمثقف العربي حين يفتقد بوصلة الرؤية.

ثانيًا- إشكالية الإرهاب وحلم السلام:

إن المتخيل الروائي، وهو يناوش سؤال الاستدامة الثقافية، يناقش إشكالية الإرهاب من خلال نموذج دال هو (سيف الكوربو)، و(الكوربو) كما ورد في هامش الرواية يعني: (الغراب) بالفرنسية، (الأعرج، 2016، ص24)، وقد حاول المتخيل الرؤائي استقصاء أبعاد هذه الشخصية، من محاور عدة، أبرزها الجانب النفسي لها، فهي شخصية عدوانية، فقد" كان في صغره يقتل العصافير، ثم ذات يوم جلس بالقرب من مزبلة، دخل في عمق بيت مهجور، وجاء بصغار قطة لم يمض على ولادتهم أكثر من يومين، ثم جلس، وبدأ يلوي عنق الصغار واحدًا واحدًا، ويرميهم في المزبلة، ويخلطهم مع الفضلات المرمية حتى لا يظهروا، وكان ينتشي بذلك الفعل، وفي يوم من الأيام اصطاد عصفورًا ملونًا، يسمونه المقنين، أو الحسُّون، ظنه أصدقاؤه أنه سيكبَرُه في البيت، ويشتري له صندوقًا جميلًا، أو شباكًا أصفر يربيه فيه، ويشتري له حبوبًا من سوق الطيور، ولكنهم فوجئوا به يكسر قنينة كانت في يده، وبقطعة حادة منها ذبحه بها وشواه" (الأعرج، 2016، ص305). إنه شخصية عدوانية، على الرغم من فرط ذكائه في العلوم الطبيعية، لكنه لم يستطع الاندماج مع المجتمع الأمريكي "ظل سيفُ غامضًا، في السنة التي سبقت غيابه النهائي من المضمار، ثم من جامعة بنسلفانيا، قيل: إنه ارتحل إلى بيشاور، وانتهى إلى مركز عسكري لإنتاج المتفجرات شديدة المفعول" (الأعرج، 2016، ص146).

وهكذا تجوس الرواية حول الشخصية، وتؤطر أبعادها باستقصاء الخصال النفسية، التي يبدو أنها تشكلت عُقَدًا عدوانية منذ الطفولة، مرورًا بنزوعه نحو الارتحال إلى فضاء يحقق فيه رؤيته، ويترجم فيه عدوانيته فالتحق بمركز عسكري، لإنتاج المتفجرات، و"لم تفلح الجوامع، ولا المجاميع، ولا الجامعات، ولا المجالس في ترويض الكوربو الابن العاق لأرابيا..." (الأعرج، 2016، ص62). لقد كان الكوربو نتاجًا طبيعيًا لعلاقة الغرب بالعرب، فسلوك الغرب في علاقته مع العرب، سلوك يبرر لديه طبيعة سلوكه، لقد كان يحاجج آدمَ، ويدعوه للتساؤل: "اسأل نفسك سؤالًا واحدًا: من أين جاؤوا؟ ماذا يفعلون عندنا؟ هل تعلم كم قتلوا في آرابيا منذ أن دخلوا إلى العراق...؟" (الأعرج، 2016، ص305). لقد تمكن الكوربو من الهروب من السجن، وظل مؤرقًا للقلعة، ومن فيها، يوجه إليها ضرباته المتتالية، ويرى أنها (عش القراصنة) (الأعرج، 2016، ص254). و"ليست إلا قاعدة متقدمة للكفرة، والملحدين" (الأعرج، 2016، ص146). وهذا الخطاب الأيديولوجي خطاب نفي، يتأسس على استحضار الهوية في مواجهة الآخر، والهوية" يمكن أن تكون مصدرًا للثراء، والدفء، كما يمكن أن تكون مصدرًا للعنف، والترويع..." (الهوية والعنف، ص19)، والهوية حين تتعرض لانحرافات في فهمها، وتأويلها تغدو (**هوية قاتلة**)، بحسب أمين معلوف (بيضون، 2015، ص17).

ولذلك يأتي رد (الكوربو) بوصفه ترجمة لهويته، وفعلًا تلقائيًا لسياسة الغرب وتعامله مع العرب، "فالإرهاب ليس قدرًا، تصنيع أيضًا، ولا ينشأ من الفراغ..." (الأعرج، 2016، ص258). ولكن المحصلة النهائية أن هذا السلوك يؤدي إلى إذكاء الصراع في المنطقة، وإشعال فتيل الحرب في واقع متشظ من أساسه، ضمن المتخيل الروائي، وضمن اللحظة الزمنية التي يشتغل فيها الخطاب الروائي وهي لحظة زمنية مستقبلية يعيش فيها العرب وضعًا استثنائيًا تتوقف فيه عملية التنمية، ويتحكم الكوربو والتنظيم بمصير الحياة من جهة، والقلعة من جهة أخرى. ويظل الطرفان - الكوربو رمز (التنظيم) الذي يمثل "جيشًا دوليًا احتل مناطق واسعة من أرابيا" (الأعرج، 2016، ص219). والقلعة بمن فيها، حتى العربي آدم- طرفين متصارعين، يؤدي الصراع بينهما إلى تلاشي الحياة والأحياء في (أرابيا) ويكون فيها مصير آخر عربي عرفه التاريخ.

ويستثمر الكوربو منجزات التقنية فيحتل عددًا من المواقع الاجتماعية في الفيسبوك، وغيرها، متهمًا التحالفات الدولية برغبتها في إجهاض مشروع الدولة الإسلامية (الأعرج، 2016، ص254). كما يوظف التنظيم الخطاب القرآني؛ لتبرير سلوكه، وتعضيد موقفه في مواجهة الآخر، فكل فعل يؤلم العدو هو تقرب إلى الله، (الأعرج، 2016، ص273و333). ويتعمد أن يدون توقيعاته على أجساد الضحايا، بوضع علامة الصليب على صدر المقتول والكتابة تحتها التوقيع: **الكوربو. التنظيم**.(الأعرج، 2016، ص333).

إن التنظيم الذي ينطلق من قناعات أيديولوجية راسخة، صماء، هو في نظر الغربي: "سرق من هذه الدنيا شمسها، وعفويتها. (الأعرج، 2016، ص202). " بل "سرق إرادة الله نفسها." كما يقول: سميث، وهو يعرض على الشاشة مشاهد محاولة اغتيال آدم. (الأعرج، 2016، ص207).

ولم يقتصر الأمر على موقفه من القلعة ومن فيها، بل إن لديه موقفًا من التاريخ، والآثار، وفي ذلك اعتداء صارخ على مكونٍ ثقافيٍ مهم من المكونات الثقافية المادية، التي تحيل على منجزات تاريخية، تجسد هوية الأمة، والذاكرة الثقافية لها " كل شيء تفكك...مُحِيَت المدن البابلية، والرومانية، وحتى الإسلامية، على مرأى من المجتمع الحر! نحن اليوم بقايا بشر، بلا تاريخ، ولا هوية، والأشد خطورة بلا ذاكرة..." (الأعرج، 2016، ص363).

وهكذا يساهم العنف والإرهاب - كما يجسده متخيل الرواية- في تعطيل عملية التنمية، وفي إذكاء حالة الفوضى، والعنف، والحرب، على حساب

الحياة، وعلى حساب التنمية، وتغدو معالجة المتخيل الروائي هذا الأمرَ -ضمن اشتغاله- دعوةً إلى الاستدامة، ومحاولة لدغم المنجز الأدبي في صلب هموم التنمية، وأسئلة المستقبل المؤرقة للمثقف، وللمجتمع المعاصر برمته؛ لذلك فإن العمل على تحقيق السلام من أهم ركائز التنمية المستدامة، فلا تنمية بلا سلام، ولا حياة كريمة في ظلال الحرب، وقد انشغلت رواية العربي الأخير بالسلام، حيث جعلته في مواجهة مع كل عوامل الحرب، وقد ظلت **جدلية الحرب والسلام** ممتدة في نسغ المتخيل الروائي من بدء الرواية حتى الختام، وإذا كانت الحرب تتجسد في شخصية (ليتل بروز) الذي تبدو ملامحه أقرب إلى ملامح (موسوليني) في عز أيامه(الأعرج، 2016، ص14)، كما أنه ممن شارك في (حرب الرمادي) في العراق(الأعرج، 2016، ص21). وما يزال ممثلا للأمبراطورية الجامعة لأمريكا وأوروبا، وأسرائيل (أميروبا) في قلعة أميروبا يدير الحرب، والقتل، والموت، وترتبط بهذه الشخصية شخصية آدم، الذي أصبح مستَهْلَكًا ومنضويًا في المشروع الأميروبي، سواء في المخبر الأمريكي في جامعة بنسلفانيا، أو في القلعة حيث ليتل بروز يدير كل شؤونها، ومنها العربي الأخير (آدم غريب) الذي يعمل طوعًا، أو كرهًا في صناعة قنبلة الجيب، لكن المتخيل الروائي يحقق نوعًا من الصراع بين الشخصيات من خلال الشخصيات الضدية، فشخصية (مايا) زوجة آدم غريب هي رمز السلام في الرواية، وقد استقطبها المتخيل الروائي لتكون أيقونة السلام في مواجهة أيقونة الموت، والحرب، (آدم) ولم يكن عبثًا أن يمتد بها المتخيل الروائي إلى جدها الناجي من انفجار هيروشيما(الأعرج، 2016، ص36). ويمعن المتخيل الروائي في استقصاء تفاصيلها، لتتلاءم مع موقعها، ودورها المنوط بالسلام، فطالما استعادها آدم بوصفها ذاكرة الدفء، والحيوية، والرقة، والجمال، فهي تمثل رمز الارتباط بالحياة، المنافحة عنها، الساعية إلى تطبيب جروح البشرية، وحروقها:" رأى من وراء الزجاج المندَّى أمايا بنعومة وجهها الياباني الذي لم تخدشه الأيام أبدًا، بل منحته كل ضوئها ونورها، كلما توغل في عينيها سمع سيول تساقط المطر تأتي مندفعة نحوه... تبدو من بعيد تحت مظلتها البيضاء، ولباسها الزهري، كتمثال تنعكس عليه أشعة الشمس الهاربة... (الأعرج، 2016، ص43)." وظلت أمايا – بلباسها الزهري- حضورًا في لحظات غفوات آدم، وأحلام يقظته، وهذا الحضور يعد دالًا رمزيًا للحنين لحالة السلام، وتوقًا للخلاص من حالة التأزم التي تسبب بها وضعه الجديد في القلعة، وهو ينجز مشروعه النووي، فحين كان يجري في مضمار القلعة، تذكرها: " عندما اقتربت منه تلاشت عليه...رمت بنفسها إلى صدره، ضمها بقوة تحت المطر(الأعرج، 2016، ص215) "رأى من وراء الزجاج المندَّى أمايا بنعومة وجهها الياباني الذي لم تخدشه الأيام أبدًا، بل منحته كل ضوئها ونورها، كلما توغل في عينيها سمع سيولَ تساقطِ المطر تأتي مندفعة نحوه، عندما تحزن تفعل ذلك بصمت، كأنها سماء هادئة، مثقلة بالغيم، ومسكونة بالبرق، والرعد، تأتيه الآن محملة بشوق ندي" (الأعرج، 2016، ص43).

ويعد الحضور الكثيف لشخصية أمايا (رمز السلام) عامل ثراء للمتخيل الروائي، ولشخصية آدم، من ناحية، وهو من ناحية أخرى يمثل احتفاءً بالسلام، وبثقافة السلام التي تحقق حياة متوازنة للبشر، ويقيم حياة آمنة من الشرور على ظهر هذا الكوكب، وذلك يترجم اشتغال سؤال الاستدامة الثقافية، في تثوير متخيل الرواية.

ثالثًا – مأزق حقوق الإنسان

حين نتأمل رواية العربي الأخير نجد احتفاء المتخيل الروائي بحقوق الإنسان في عالم مستقبلي تسوده نزعة الهيمنة، من (أميروبا) على (أرابيا) وتأتي شخصية (إيفا كريستوفر) السويدية المختصة بالدفاع عن البسطاء أو كما تسميهم وثائق الأمم المتحدة: الأجناس أو الكائنات الآيلة إلى الزوال (الأعرج، 2016، ص68) أو مؤسسة ليدرافيك الخاصة بالأجناس الآيلة إلى الزوال(الأعرج، 2016، ص66) ، تأتي لتمثل الشخصية المنافحة عن حقوق الإنسان، ومن زاوية ارتباطها بآدم، تمارس دورها، ويتساءل ليتل بروز عن دوافع ممارستها لهذا الدور:" ما الذي يقود بشرًا مثلها للدفاع عن أشخاص لا يعرفون عنهم إلا القليل؟ وقد لا يعرفونهم بتاتًا.. تدافع باستماته عنه، وكأنها من دمه، أو قريبة له، أو حتى حبيبته، ...استغرب مرة أخرى، ما الذي يدفع بامرأة شديدة الأناقة والجمال على الرغم من بساطتها إلى المغامرة في الصحارى، والعقارب، والزواحف الخطيرة، والمجيء نحو قلعة معلقة في فراغ الأرض؟ في أقاصي الربع الخالي، مع أن هذا الرجل الذي تهتم به إيفا كان يمكن أن يقتل عند باب مطار رواسي، وينتهي الحديث عنه، أو حتى يمكن أن يردم في هذا المكان الذي يكاد يكون له قانونه الخاص، أو يسلم للتنظيم، أو للكوربو، مقابل فدية مالية...لاحظ شبهًا قويًا بين إيفا وآدم، ولكنه لم يستطع تحديده "(الأعرج، 2016، ص37).

إن الحوارات التي تدور بين (آدم) و(إيفا) من جهة، ومنسوبي قلعة أميروبا وإيفا من جهة أخرى، هي التي تكشف جوانب هذه الشخصية، وطبيعة المهمة التي تقوم بها، يقول آدم:

- " شكرًا سيدة إيفا على كل ما تقومين به من أجلي، وضعي تحسن جدًا، معك أشعر حقيقة أن هناك متسعًا لشيء آخر غير الأحقاد بين البشر...
- شكرًا للطفك يا آدم، واجبنا لا أكثر، صحيح أن اسم جمعيتنا غير جميل: ***الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة إلى الزوال...***
- جيد أن توجد مثل هذه الرابطة سكان أرابيا لم يكن لهم حتى حظ تجميعهم وحمايتهم مثل الهنود الحمر. يتآكلون في عزلة الرمل، ويأكل بعضهم بعضًا، والمنتصر يموت عطشًا، وجوعًا في أرض امتُصَّت من كل شيء، ولم تعد تنجب إلا الموت... (الأعرج، 2016، ص52).

إن إيفا تقوم بدورها الإنساني الذي لا تصرح هي به، ويتمثل في إنقاذ آدم غريب، " أنا هنا في مهمة إنقاذك، وكتابة تقرير لمنظمة الأمم المتحدة التي

تكاثرت دولها، حتى أصبحت كلمة دولة لا تعني لها الشيء الكثير.." (الأعرج، 2016، ص65).

ومع ذلك فهي من طريق غير مباشر تعمل على ترويض آدم للتكيف مع الوضع الجديد، الوضع الديستوبي، الذي يهيمن على الرواية، ويؤثث عوالمها؛ ولذلك تقول له بنوع من الرجاء:" أرجوك حبيبي.. في المرات القادمة لا تناقِض ليتل بروز، لا تنسَ أنه سيد المكان بامتياز، قل له كلمة خير فيه، حتى ولو كذبًا، أو اصمت، بدل سيدي استعمل مارشال، فهو يحبها..." (الأعرج، 2016، 65)، وهي كذلك تكشف له عن طبيعة المكان الذي يعيش فيه، وهو مكان تغلب عليه التقني، "شاشاته" و"مجساته" (الأعرج، 2016، 65). ولذلك تحذره من رقابة التقنية، وشباك الشاشات" ...إنظر، ولا تتكلم؛ لأنك لو تقدمت خطوة أخرى، ستصبح تحت رحمة الشاشات الحساسة جدًا" (الأعرج، 2016، 65).

وقد تمكنت إيفا من إحراز انتصار كبير يخص حرية آدم، حين وضعت في يده جهاز التسجيل الصغير، الذي يمكنه من مواصلة "خربشاته العلمية" التي بدأها في مخبر جامعة بنسلفانيا" (الأعرج، 2016، ص78).

خامسًا- التقنية وشروط إنتاج المعرفة:

إن سؤال التقنية من أهم أسئلة التنمية المستدامة؛ لأنها لصيقة بالاقتصاد، والمعرفة، وكل مجالات الحياة، ولا شك في أن منطق رواية الخيال العلمي منطق يفرض تشكُّل الرواية في أفق تقني، وهو ما يسم رواية (2084 حكاية العربي الأخير) فالتقنية تشكل المكان، وتتدخل في حياة الشخصيات، كما أن الشخصية الرئيسة آدم غريب شخصية متخصصة في توظيف المعرفة لصناعة قنبلة (بوكيت بومب) النووية، وما دامت الرواية تشتغل ضمن رؤية ديستوبية، فإن التقنية تتجلى بشكل سلبي، وتوظف في استلاب حرية الإنسان تارة، وتدمير مقومات الحياة تارة أخرى، وفوق ذلك فإن الرواية - حين تناقش مسألة التقنية- تلتفت بوعي حاد إلى مسألة المعرفة، وشروط إنتاجها، وهو ما يجعل هذه الرواية تصب في صلب الهاجس التنموي؛ وحين نتأمل الشخصية المحورية في الرواية آدم غريب نجد أنه يتموضع في أفق المعرفة، وإشكالية أخلاق المعرفة، وكيف تطوعها القوى الكبرى لمآربها الخاصة، وإن نأت عن التزام الأخلاق الإنسانية، تحت منطق الغاية تبرر الوسيلة.

"إن الاكتشافات العلمية، ومظاهر التقدم التكنلوجي المختلفة ليست خيرًا دائمًا، إنما يكون لها أحيانًا بريقها الفاسد، ...إن اختراعات تأتي بالأمن لمجتمع ما يمكن أن تكون سببًا لتهديد أمن مجتمع آخر، في مثل هذه الحال يصبح للوظيفة الانتقادية في الخيال العلمي أهمية كبرى.." (العبد، 2007، ص27). لقد جاءت الثورة العلمية بالخير العميم على الإنسان، فكسب بفضلها أشياء كثيرة، في المعلومة، ومعالجتها، وتداولها، وفي الصحة... والأمن، والسرعة، ولكنه خسر الحميمية، والحياة الخاصة، والحرية، والحس النقدي (دوغان، لابي، 2020، ص8).

فآدم باحث عربي يعمل في مركز بحثي أمريكي؛ ولذلك في هذا الفضاء الديستوبي، وهيمنة الرقابة، فإن آدم جيء به إلى القلعة عقب عملية الاغتيال، وهو مزود بشريحة زرعت تحت جلده.

لقد تحولت التقنية إلى مطية لتشويه الحياة، فشركة آبل التي كانت تصنع أجهزة من شأنها خدمة الإنسان "توجهت نهائيًا نحو الاستثمار في الإنتاج الحربي، والأقمار الصناعية، التي أصبحت تراقب العالم والأنفاس كلها.." (الأعرج، 2016، ص56) والأجهزة تراقب كل هجسات العقول، وما في الأدمغة: "أجهزتكم تقرأ ما في الأدمغة" (الأعرج، 2016، ص58).

والشريحة التي زرعت في جسد آدم لم يكن فيها أية معلومات عنه؛ لأنه يعمل في مكان حساس (الأعرج، 2016، ص59) وحينما جيء به إلى القلعة طلب منه بلير أن يكتب أي شيء، حتى لو يكتب "نهاية زمن وبداية آخر (الأعرج، 2016، ص58)، (I 'Homme à puce) الذي يمر عبر كل المسالك، ولا حاجة له في إظهار أوراقه. فرد عليه آدم:

- جميلة تسمية (I 'Homme à puce) ألا ترى أن هذا حرر الإنسان من كثرة الأوراق التي لا معنى لها، شريحة صغيرة تحت الجلد تحمل كل شيء عن الإنسان، نزواته، وجنونه، وأفكاره.." (الأعرج، 2016، ص58-59).

إن شخصية آدم تتشكل في سياق الفضاء التقني بصورة مزدوجة، فهو نزيل القلعة والتقنية تقوم بمراقبة كل سلوكه: الجوارحي، والذهني، والنفسي، "أينما التفت شعرت به يتبعك بخرزته الحادة نفسها، وبالشعار نفسه: ليتل بروز لا يراقبكم، لكنه فيكم" (الأعرج، 2016، ص107). كما أن التقنية - المتمثلة باللوح الإلكتروني- تمكنه من تدوين كل فكرة تعزز مشروعه الذي سخر له نفسه في جامعة بنسلفانيا، وكذلك في غرفة توقيفه في القلعة. وهو مشروع القنبلة الصغيرة المدمرة. هذا المنجز التقني الدقيق الذي وظف لتحويل آرابيا إلى كومة من رماد، وهنا نلحظ كيف تكون المآلات حين تفتقد التقنية الشروط الأخلاقية لإنتاجها.

سادسًا- التحولات البيئية العالمية:

تشتغل الرواية في فضاء زمكاني تبدلت فيه أحوال البشرية حتى أن رابطة حقوق الإنسان تطمح لأن تغير حياة الناس، وبخاصة حقوق (الإنسان الآيل إلى الزوال) "نريد أن نرى حياة الناس عن قرب، وعاداتهم في ظل التحولات البيئية العالمية الخطيرة، وآثار الحروب، الآرابيون الذين كانوا يعيشون رخاء كبيرًا أصبحوا اليوم داخل عواصف التيه، ورمال النار والموت، الناس يخطئون إذ يظنون أن الغنى والقوة خالدان، كل شيء أكثر هشاشة من جناحي فراشة، البشرية تحتاج إلى تذكير دائم بضعفها.." (الأعرج، 2016، ص165). يهمنا جدًا وضع الناس الصحي، ومشكلة التلوث البيئي، تعرفون بأن

هذه المنطقة على الرغم من قسوتها الظاهرة، كان بها توازن بيئي آخر غير الذي نراه اليوم، وفيها حياة...غير ما ترونه اليوم من رمال وأدخنة، في كل مكان، ورعب البشر من البشر.." (الأعرج، 2016، ص165). وتؤكد سوزان كليبر الباحثة في علوم الطبيعة، والناشطة في جمعيات المحافظة على البيئة: "أن الزمن يرتسم في الأفق باللون الرمادي، والأسود إذا لم يتم يُستدرك الوضع" (الأعرج، 2016، ص166-165). وتخاطب آدم بقولها:" تعرف يا آدم أن كل شيء مات في هذه المنطقة، شيئان يقاومان جشع الشركات النفطية، التي مزقت التربة، ولوثتها، والقبائل المتنقلة عن حياة ممكنة، وهي من يقلل من وحشة المكان.." (الأعرج، 2016، ص165).

سنذهب إلى السد، ونعاينه عن قرب، إذا لم يُخِلْ ذلك بالتوازن البيئي، والطبيعي، ربما يكون السد سببًا في التعمير، وفي الحالة الأسوأ سببًا قاتلا في التهجير.." (الأعرج، 2016، ص165). فالمتخيل الروائي يناوش مسألة التوازن البيئي، كما أنه ينقر نقراتٍ دالةً تلامس (حرب المياه) فالمياه هي نفط القرن الواحد والعشرين (عطا، 2023). وهي نافذة للسلام، وفي الوقت نفسه هي بوابة لاندلاع الحروب، كما يحذر من ذلك صاحب كتاب (المياه، والحرب، والسلام) (تشيلاني، 2023، ص45). "فالمياه الجوفية التي كانت تروي السد، سحبتها أزاريا بوسائلها المتطورة جدًا"... والوادي الكبير الذي كان ينحدر من أعالي الجبال الأفريقية، بني عند مصباته سد كبير، سد (الرونيسيوس) - أي النهضة- الضخم، ولم يسمح بمرور إلا الفائض الذي يعلو فوقه" (الأعرج، 2016، ص422).

إن هذه الاقتباسات بما تحمله من قناعات تحملها الشخصيات الروائية، تحيل إلى طبيعة منطق الرواية الحادب على البيئة، وتحيل إلى ما يمكن تسميته بـ"التفكير الأخضر" الذي ينتصر للبيئة وللحياة، وهو ما يجعلنا أمام خطاب جمالي يقدم المعرفيَّ الإنسانيَّ في طياته.

سابعًا- مشكلة الفقر:

في عالم الرواية الديستوبي تهيمن حالة الحرب، وجنايتها على المجتمعات، فالرواية تجعل من العربي موضوعها الرئيس، وتناقش مآلات سكان أرابيا في ظل الاحتراب؛ ولذلك نجد أن آدم غريب يخاطب السيدة سوزان في سياق الجدل حول مشروعه النووي بالقول: "يجب أن لا تنسوا أننا في عصر قاتل، لا يرحم الضعيف، ما تأكله الحروب الكلاسيكية أضعاف مضاعفة ما أكله النووي، سكان أرابيا كانوا مع بداية الحرب قرابة 400مليون نسمة، كم بقي منهم اليوم؟ لا أحد يعرف، لقد تمزقوا، وأكثر من نصفهم اِلتهمته الحربُ، والباقي يأتي عليه العطش، والأمراض، كل سنة يموت الملايين، هم ودوابهم، عطشًا، وجوعًا، مياه النيل تكاد تجف، في الكثير من المناطق في السودان، ومصر، امتصها كلها سد النهضة" (الأعرج، 2016، ص169). وإذا كان سد النهضة مصدرًا للمياه، والطاقة لأثيوبيا، ونافذة لتحقيق التطور؛ فإنه في المقابل يمثل جناية كبيرة على البلدان الأخرى: السودان، ومصر (شراقي، 2018،ص7و 9).

إن مصير أرابيا تكشفه إيفا بمرارة، وتبين كيف أصبح الناس في أرابيا داخل تيه شديد القسوة، خسروا كل شيء، حتى النظام الأدنى الذي كونوه على مدى قرون" (الأعرج، 2016، ص209).

فالخطاب الروائي هنا على لسان إيفا المسؤولة عن حقوق الأجناس الآيلة إلى الزوال، يحدد ملامح المصير، ويشير إلى أهمية الدولة في رعاية التنمية، فما حاق بالعرب من أسبابه **غياب الدولة**، فمن شروط التنوير في الحقل الثقافي" استقلال الحقل الثقافي، وعدم الوصاية عليه...ولا يتحقق هذا الشرطان إلا في ضوء شرط ثالث، ومهم يتمثل في رعاية الدولة للحقل الثقافي، وضمان استمراره، وحماية وظائفه في بناء الإنسان، ذلك أن الإرادة السياسية، وما تبثه من تحديد للأهداف العامة للمجتمع، والتشريعات المنظمة له، هي الأصل في تحقيق التنمية المستدامة." (زيد، 2019، 48).

وتنهض الرواية على تصوير سكان أرابيا وهم يعيشون مآسيَ تاريخية عصيبة: إنهم" ينقرضون بهدوءٍ، وسكينةٍ، لم يعودوا سادة مصائرهم، التقينا مع ناس طيبين وعاليي الثقافة، والوعد، الكثير منهم كانوا مهندسين، ومفكرين، وجامعيين، أصبحوا اليوم في الصحاري، تفكك أرابيا دمر كل التوزان المجتمعي... (الأعرج، 2016، ص219).." "تتقاتل قبائل آرابيا، ويفني بعضها بعضًا، كلما وقعت المعارك، هؤلاء الأقوام كان الماء يدخل بيوتهم ناعمًا، ساخنًا، أو باردًا، ها هم اليوم حتى التمر لا يجدونه، قطرة ماء يقطعون بسببها كل مخاطر الدنيا لكي يحصلوا على ماء يشربونه" (الأعرج، 2016، ص433).

ويشير المتخيل الروائي إلى السد (مارابا) التاريخي الذي بناه السبئيون في القرن الثامن قبل الميلاد، وأثره في التنمية، وكيف كان معجزة في التصميم، وآية في مقاومة الهزات العنيفة، وقد بني على إثره السد الجديد الذي دمره حلفاء أرابيا فبعثروا تاريخه، وحجارته (الأعرج، 2016، ص94).

الخاتمة:

- **النتائج:**

من خلال الدراسة يتبين لنا عددٌ من النتائج التي يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

- أن رواية (2084 حكاية العربي الأخير) تعد من أبرز روايات الخيال العلمي في المنجز الأدبي العربي، التي استشرفت المستقبل من منظور (ديستوبي)، ووظفت معطيات التقنية، لبناء عوالمها الممكنة، ببراعةٍ توائم بين مقتضيات جمالية الفن، وعمق الرسالة الثقافية.
- أن الرواية تمكنت من الاشتغال على سؤال الاستدامة الثقافية بوعي مبصرٍ، يقرأ الواقع، ويستشرف المآلات، ويهجس بمضمرات الوعي التنموي،

والاستدامة الثقافية، عبر شبكة العناصر الروائية، فكشفت عن مفاصل مهمة في سبيل تحقيق الاستدامة الثقافية، ومنها إشكالية الهوية، وكيف أفضى تمزق هوية الإنسان العربي- ممثلا ببطل الرواية، فضلا عن النظرة الهوياتية لدن الإنسان الغربي لذاته، أو للعربي- إلى نهاية مأساوية حاقت بالأمة العربية (آرابيا).

- ناقشت الرواية -عبر خطابها السردي وشخصياتها الروائية إشكالية العنف والارهاب، وجدلية الحرب والسلام، وحقوق الإنسان، ومسألى التوازن البيئي، والحفاظ على البيئة، ومشكلة الفقر، لتعميق الكشف عن سؤال الاستدامة الثقافية محور الدراسة وهدفها.
- على الرغم من أن الرواية تشتغل في فضاء التقنية الجديدة، وتستلهم المنجز الغربي في الخيال العلمي، وبخاصة رواية (1984) لجورج أورويل إلا أنها قدمت محاكمة ضمنية للتقنية، ولشروط إنتاجها، وكيف أنها تعمل على تعرية الإنسان، وتتسلل إلى أفكاره، ومشاعره، ومدى تجيير التقنية لخدمة المؤسسة المهيمنة على حساب حرية الأفراد، وخصوصياتهم، وحقوقهم الأساسية.

التوصيات:

توصي الدراسة بتفعيل الدراسات الخاصة بالاستدامة الثقافية في حقول الإبداع كافة لتعزيز التنمية، وتعزيز الحياة المستقرة للإنسان في المستقبل، بكل مناحيها.

***شكر وتقدير: هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج العام لعمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية رقم (GRP/31/45).**

المصادر والمراجع

أبو كشك، ز.، وفرمان، س. (2022). التشكيل الجمالي للقميص في شعر أمجد ناصر. *مجلة جامعة الزيتونة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 3*(1)، 30. http://doi:10.15849/ZJJHSS.220330.03

الأعرج، و. (2016).*2084 حكاية العربي الأخير*. (ط1). بيروت: دار الآداب.

الحسامي، ع. (2023). متخيل الديستوبيا في الخطاب الروائي. (ط1). الاردن: دار كنوز المعرفة.

العبد، م. (2007). الخيال العلمي استراتيجية سردية، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع71، خريف، ص 27.

العلاق، ع. (2023). *من نص الأسطورة إلى أسطورة النص*. العراق: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.

الغماز، س.، الغليظ، أ.، الزغول، م.، العساف، ح.، أبو جربان، ت.، أبو راس، ف. (2024). الوصف كأسلوب كتابة روائي بين رواية *ديفيد كوبرفيلد* لتشارلز ديكنز ورواية *زقاق المدق* لنجيب محفوظ: دراسة مقارنة. *النظرية والتطبيق في دراسات اللغة* .3155-3163.1410.18.tpls.10.17507/doi: http://(10)14

الودغيري، ع. (2000). *اللغة والدين والهوية*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

برادة، م. (2008). *الرواية ذاكرة مفتوحة*. (ط1). القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع.

بومعزة، ف.، و لحمر، و. (2022). أدب الخيال العلمي وملابسات النشأة. *مجلة سيميائيات، جامعة وهران*، 17، 379.

بيضون، ن. (2015). *الهويات القاتلة*. (ط3). بيروت.

تشيلاني، ب. (2023). *المياه: الحرب، والسلام*. (ط1). المركز القومي للترجمة.

جبر، ع. (2019). الهوية والذاكرة الجمعية، إعادة إنتاج الأدب العربي قبل الإسلام، أيام العرب أنموذجًا. (ط1). بيروت: دار المدى الإسلامي.

دراج، ف. (2010). رواية التقدم واغتراب المستقبل، تحولات الرؤية في الرواية العربية. (ط1). بيروت: دار الآداب.

دراج، ف. (2004). الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية، والرواية العربية. (ط1). المركز الثقافي العربي.

دوغان، م.، وكريستوف، ل. (2020). الإنسان العاري، الدكتاتورية الخفية للرقمية. (ط1). المغرب: المركز الثقافي العربي.

شراقي، ع. (2018). تداعيات سد النهضة الأثيوبي على الأمن المائي المصري، المؤتمر الدولي الخامس عشر لعلوم المحاصيل، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، أكتوبر، 7، 9.

دوغلاس س.، واليس، ج.، ويب، س.، & وينغاست، ب. (2016). في ظل العنف، السياسة والاقتصاد، ومشكلات التنمية. الكويت: عالم المعرفة.

زيد، أ. (2019). كيف تكون الاستدامة الثقافية؟ جريدة الأهرام، السبت 20من جمادي الأولى 1440 هـ العدد 48263، ص48، 27.

عطا، ع. (2023). المياه "نفط" القرن الـ 21 وحروبها غير مستبعدة. صحيفة الأندبندنت.

غربي، و. (2023). المخيال الديستوبي بين رواية 1984لجورج أورويل، و2084 حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج، و1 Q84لهاروكي موراكامي، المدونة، 10(2).

فتحي، أ. (1986). *معجم المصطلحات الأدبية*. (ط1). تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.

فيدوح، ع. (2019). *تأويل المتخيل: السرد و الأنساق الثقافية*. (ط1). دمشق: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع.

قطامي، م. (2022). مواجهة العنف الطبيعي في رواية أبو العلا "المتحف" ورواية الجندي "التجارة في عربي". *مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 3*(3)، 224-235.

https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.221130.13

قطامي، م. ي.، وحمدان، ي. أ. ح. (2024). تحدي الخطاب الخلافي وتفكيك الانقسام الكاذب من خلال الأدب متعدد الثقافات. *دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 52(1)، 282-297* https://doi.org/10.35516/hum.v52i1.4754 ..

مرشد، ع. (2023). *الهوية الثقافية وتحديات التنمية والحداثة*. السعودية: صحيفة الوطن.

وهبه، م.، والمهندس، ك. (1979). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.

وغليسي، ي. (2017). *التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، بحث في ثوابت المنهج، وتحولاته العربية، ومحاولات تطبيقه*. (ط1). جسور للنشر والتوزيع.

يقطين، س. (2010). *قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود*. (ط1). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

يونس، ش. (1999). *سؤال الهوية: الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة*. (ط1). القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.

References

Abū Kishk, Z., & Wfrmān, S. (2022).Al-tashkīl al-jamālī llqmyṣ fī shi‘r Amjad Nāṣir. Majallat Jāmi‘at al-Zaytūnah lil-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, 3 (1).

Akhkhū Arshydh, M. (2009). *Al-‘awāmil al-nafsīyah wa-al-Ijtimā‘īyah al-mu’addīyah lil-‘unf ladá ṭalabat al-jāmi‘āt al-Urdunīyah wa-al-ḥulūl al-muqtaraḥah lil-ḥadd minhu, Rasāil mājistīr*, Kullīyat al-Dirāsāt al-nafsīyah al-‘Ulyā, Jāmi‘at ‘Ammān al-‘Arabīyah, Jordan.

Al-‘Abd, M. (2007). al-Khayyāl al-‘Ilmī istirātījīyah sardīyah, fuṣūl, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, ‘71, Khurayyif, Ṣ 27

Al-A‘raj, wa. (2016). 2084 Ḥikāyat al-‘Arabī al-akhīr. (1st ed.). Beirut: Dār al-Ādāb, Bayrūt.

Al-‘Allāq, ‘A. (2023). *Min naṣṣ al-usṭūrah ilá usṭūrat al-naṣṣ*. (1st ed.). Iraq: Mu’assasat Abjad lil-Tarjamah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.

Al-Ghmāz, S., Alghlyẓ, U., Al-Zaghūl, M., Al-‘Assāf, Ḥ., Abū jrybān,T., & Abū Rās, F. (2024). Al-waṣf ka-uslūb kitābat riwā’ī bayna riwāyah Dīfīd kwbrfyld ltshārlz Dīkinz wa-riwāyat Zuqāq al-Maddaq li-Najīb Maḥfūẓ: dirāsah muqāranah. *Al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq fī Dirāsāt al-lughah*, (10)14.

Al-Ḥusāmī, ‘A. (2023). *Mutakhayyal aldystwbyā fī al-khiṭāb al-riwā’ī*. (1st ed.). Jordan: Dār Kunūz al-Ma‘rifah.

Al-Wadghīrī, ‘A. (2000). *Al-lughah wa-al-dīn wa-al-huwīyah*. Al-Dār al-Bayḍā’.

‘Aṭā, ‘A. (2023). *Al-miyāh "Nafṭ" al-qarn al 21 wa-ḥurūbuhā ghayr mstb‘dh*. Ṣaḥīfat al’ndbndnt.

Barādah, M. (2008). *Al-riwāyah dhākirat maftūḥah*. (1st ed.). Egypt: Āfāq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

.Bayḍūn, N. (2015). *Al-huwīyāt al-qātilah*. (3rd ed.). Beirut: Dār al-Fārābī.

Bwm‘zh, F., & Laḥmar, W. (2022). Adab al-Khayyāl al-‘Ilmī wa-mulābasāt al-nash’ah. *Majallat sīmyā’īyāt, Jāmi‘at Wahrān*, 17, 379.

Darrāj, F. (2010). Riwāyah al-Taqaddum wa-ightirāb al-mustaqbal, Taḥawwulāt al-ru’yah fī al-riwāyah al-‘Arabīyah. (1st ed.). Beirut: Dar al-Ādāb, Bayrūt.

Darrāj, F. (2004). Al-riwāyah wa-ta’wīl al-tārīkh, Naẓarīyat al-riwāyah. (1st ed.). Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī.

Dūghān, M., & Krīstūf, L. (2020). Al-insān al-‘ārī, al-diktātūrīyah al-khafīyah llrqmyh, tarjamat: Sa‘īd Bingarād. (1st ed.). Morrocco: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’.

Dwghlās Sī., Wālys, J., Wyb, S., & Wynghāst, B. (2016). Fī ẓill al-‘unf, al-siyāsah wa-al-iqtiṣād, wa-mushkilāt al-tanmiyah. Kuwait:‘Ālam al-Ma‘rifah.

Gharbī, W. (2023). Al-mikhyāl aldystwby bayna riwāyah 1984ljwrj awrwyl, w2084 Ḥikāyat al-ʻArabī al-akhīr lwāsyny al-Aʻraj, w1Q84 lhārwky mwrākāmy, al-Mudawwanah, mj10, ʻ2

Fatḥī, U. (1986). *Muʻjam al-muṣṭalaḥāt al-adabīyah*. (1st ed.). Tunisia: al-Muʼassasah al-ʻArabīyah lil-Nāshirīn al-Mattaḥidin.

Faydūḥ, ʻA. (2019). *Taʼwīl al-mutakhayyal: al-sard wa-al-ansāq al-Thaqāfīyah*. (1st ed.). Syria: Ṣafaḥāt lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.

Jabr, ʻA. (2019). *Al-huwīyah wa-al-dhākirah al-Jamʻīyah, iʻādat intāj al-adab al-ʻArabī qabla al-Islām...* (1st ed.). Beirut: Dār al-Madá al-Islāmī.

Murshid, ʻA. (2023). *Al-huwīyah al-Thaqāfīyah wa-taḥaddiyāt al-tanmiyah wa-al-ḥadāthah*. Saudi Arabia: Ṣaḥīfat al-waṭan, al-Saʻūdīyah.

Qaṭāmī, M. (2022). Muwājahat al-ʻunf al-ṭabīʻī fī riwāyah Abū al-ʻUlā "al-Matḥaf" wa-riwāyat al-Jundī "al-Tijārah fī ʻArabī". *Majallat Jāmiʻat al-Zaytūnah al-Urdunīyah lil-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-Ijtimāʻīyah*, 3(3), 224-235. https://doi. org/10. 15849/ZJJHSS. 221130.13

Qaṭāmī, M. Y., & VHmdān, Y. U. Ḥ. (2024). taḥaddī al-khiṭāb alkhlāfy wa-tafkīk al-Inqisām al-kādhib min khilāl al-adab mutaʻaddid al-thaqāfāt. *Dirāsāt: al-ʻUlūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimāʻīyah*, 52(1), 282-297. https://doi.org/10.35516/hum.v52i1.4754

Tshylāny, B. (2023).*Al-miyāh: al-ḥarb, wa-al-salām*. (1st ed.). Al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah.

Waghlīsī, Y. (2017). a*Al-Taḥlīl al-mawḍūʻātī lil-khiṭāb al-shiʻrī, baḥth fī thawābit al-manhaj*. (1st ed.). Wa-taḥawwulātih al-ʻArabīyah, wa-muḥāwalāt taṭbīqih.

Wahbah, M., & Al-Muhandis, K. (1979). *Muʻjam al-muṣṭalaḥāt al-ʻArabīyah fī al-lughah wa-al-adab*. (1st ed.). Beirut: Maktabat Lubnān, Bayrūt.

Yaqṭīn, S. (2010). *Qaḍāyā al-riwāyah al-ʻArabīyah al-Jadīdah, al-wujūd wa-al-ḥudūd*. (1st ed.). Egypt: Ruʼyah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Yūnus, Sh. (1999). *Suʼāl al-huwīyah: al-huwīyah wa-sulṭat al-muthaqqaf fī ʻaṣr mā baʻda al-ḥadāthah*. (1st ed.). Cairo: Mīrīt lil-Nashr wa-al-Maʻlūmāt.

Zayd, U. (2019). Kayfa takūn alāstdāmh al-Thaqāfīyah? Jarīdat al-Ahrām, al-Sabt 20 min Jumādī al-ūlá 1440 h al-ʻadad 48263.